الفصل الأول

نحو الدولة الإسلامية

- في عهد النبي والخلفاء الراشدين وبني أمية .
- في العصر العباسي ـ وعصر الدويلات .
- هل أثر الانقسام في عصر الدويلات على الاسلام أو شخصية المسلم ؟
- الديوان ـ وتشعب المناصب .
- هل اقامة الدولة الاسلامية واجب ؟
- هل يمكن الاتفاق مع العلمانية والمصلحة والقانون الأخلاقي ؟
- الاسلام ـ لا العلمانية ـ طريق السعادة .

obeikandl.com

obeikandl.com

الدولة الاسـلامية

من النبوة حتى نهاية القرن الثالث

تناول جورجى زيدان قصـة نمو الدولة الاسـلامية فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين ، وعصرى بنى أمية والعباسيين فقال[1] :

● فى عهـد النبى :

تأسست الدولة الاسـلامية فى المدينة فى السنة الأولى للهجرة والمسـلمون قليلون ، وكل أرض خارج حدود المدينـة لا تدخل فى زمامهم ... وحدود تلك الدولة محصورة بيثرب وبعض ضواحيها .

وكانت دار الحكومة والقضاء يومئذ المسجد أو بيت النبى أو بيوت الصحابة ومازال ذلك شأنها الى السنة الرابعة للهجرة فأضافوا اليها أرض بنى النضير ، وفى السنة التالية أرض خيبر ثم فدك ، فوادى القرى فتيماء ، ثم فتحوا مكة فالطائف فتبالة فجرش ، ثم مدوا حدودهم شـمالا الى تبوك وأيلة ، وجنـوبا الى نجـران فاليمن فعمـان فالبحرين فاليمامة .

ولمـا توفى النبى سنة ١٠ للهجرة كانت دولة الاسلام تمتد من تبوك وأيلة شمالا الى شواطىء اليمن جنوبا ، ومن خليج العجم شرقا الى بحر القلزم غربا ، وكان أساس الدولة المسـاواة والمؤاخاة والتعاون ، والمسلمون هم الجند ، والزكاة والضرائب المختلفة التى تقررت شـيئا فشيئا هى الموارد المـالية للدولة .

---

(١) جاء هذا البحث بقلم جورجى زيدان فى تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها .

وفى الزكاة حكمة عالية لأنها تسترضى الفقراء وهم الجمهور الأكبر ..
وبعد موقعة بدر شرعت أحكام الغنائم والجزية .

* * *

● **فى عهد الخلفاء الراشدين :**

فلما تولى أبو بكر وفرغ من الردة بعث الجند لفتح الشام والعراق ، وأتم فتحهما عمر بن الخطاب وفتح مصر وكانت أكثر الفتوح فى عصره ، وخلفه عثمان ففتح بلاداً أخرى .

وشغل المسلمون عن الفتوح بعد مقتله بالفتنة التى شبت بينهم ، حتى اذا انقضى عصر الخلفاء الراشدين . وضع معاوية يده على أزمة الخلافة وراياتُ المسلمين تخفق على الشام ومصر والنوبة وأفريقية والعراق وفارس وأرمينية وأذربيجان وجرجان وطبرستان والأهواز وغيرها .

وكان الخليفة يقيم فى المدينة أو الكوفة ويرسل عماله الى الأعمال « الولايات » وأكبر أعمال المملكة الاسلامية يومئذ الشام ثم العراق . وفى بلاد العرب مكة والطائف والبحرين وعمان وصنعاء ، وفى قارة أفريقيا مصر وما يتبعها والنوبة .

وكان الخلفاء يرسلون عمالهم الى هذه الأعمال رأساً من المدينة — أو الكوفة — الا الشام فقد كان عاملها يقيم فى دمشق وهو يولى عمالا على ما تحتها من الأجناد — كحمص وقنسرين والأردن وفلسطين — وكذلك مصر كان عاملها فى الغالب يرسل العمال من تحت امرته الى أفريقية والنوبة .

* * *

● **فى عهد بنى أمية :**

زادت الدولة اتساعا ، ففتحت الأندلس وسائر المغرب غربا . وأوغل بنو أمية فى أوروبا من وراء أسبانيا ، فقطعوا جبال البرت

وهى المعروفة بالبرانس ودخلوا فرنسا وأوغلوا فيها الى نهر الرون سنة ١١٤ هـ ، فارتعد الافرنج لذلك فتكاثفوا لدفعهم بكل جهدهم فى مكان يسمى بلاط الشهداء بين بلدتى تور وبواتييه فى وسط فرنسا الحالية •

وكان يقود الفرنجة ملكهم شارل مارتل جد الامبراطور شارلمان فانتصر فى هذه المعركة على أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقى الذى استشهد هو ومن معه ولكن لم ينسحب العرب من غالة « فرنسا الحالية » بعد موقعة «بلاد الشهداء» وانما ظلوا مسيطرين على جزء كبير من الجنوب نحو ثلاثين سنة بعد هذه الموقعة (سنة ٧٣٢ م) حتى تخلوا عن عاصمتهم أربونة « نربون » سنة ١٣٣ هـ = ٧١١ م •

وامتدت فتوح الأمويين فى بلاد فارس فخراسان وما وراءها الى حدود الهند •

* * *

● **فى الدولة العباسية :**

ثم اتسع نطاق المملكة الاسلامية على عهد العباسيين حتى صارت أوسع ما بلغت اليه فى زمن الاسلام حتى الآن •

ولا عبرة بخروج بعض الأعمال من سيطرة العباسيين واستقلالها ، فقد كان أمراء هذه الدول كلهم يخطبون للخليفة العباسى — الا الأندلس — ومهما اختلفت الدول ، فالمملكة اسلامية ، وحكامها مسلمون •

وقد بلغت حدود هذه المملكة شمالا : الى أعلى تركستان فى آسيا وجبال البرت « البرانس » فى شمالى اسبانيا • وجنوبا : الى بحر العرب والمحيط الهندى • وقاصية الصحراء الافريقية الكبرى • وشرقا : الى بلاد السند والبنجاب من بلاد الهند ، وغربا : المحيط الأطلنطى • وزادت مساحتها بذلك على ضعفى مساحة أوروبا •

ولبيان عظمة تلك المملكة الواسعة نأتى بأسماء أعمالها •

١ — السواد (بالعراق) • ٢ — الأهواز •

٣ — فارس •
٤ — كرمان •
٥ — مكران •
٦ — أصبهان •
٧ — سجستان •
٨ — خراسان •
٩ — همذان •
١٠ — ماسبذان •
١١ — مهرجان قذق •
١٢ — الايغارين •
١٣ — قم وقاشان •
١٤ — أذربيجان •
١٥ — الرى •
١٦ — قزوين •
١٧ — طبرستان •
١٨ — تكريت •
١٩ — شهر زور •
٢٠ — الدامغان •
٢١ — الموصل •
٢٢ — ديار ربيعة •
٢٣ — أرزن وممبا فارقين •
٢٤ — طوران •
٢٥ — طريق الفرات •
٢٦ — قنسرين والعواصم •
٢٧ — حمص •
٢٨ — دمشق •
٢٩ — الأردن •
٣٠ — فلسطين •
٣١ — مصر •
٣٢ — جيلان •
٣٣ — برقة •
٣٤ — افريقية (تونس) •
٣٥ — مكة والمدينة •
٣٦ — الجزيرة والديارات والفرات وموقان والكرخ •
٣٧ — حلوان •
٣٨ — الكوفة •
٣٩ — البصرة •
٤٠ — زنجان •
٤١ — قومس •
٤٢ — جرجان •
٤٣ — أرمينية •
٤٤ — آسد •
٤٥ — ديار مضر •
٤٦ — اليمامة والبحرين •
٤٧ — عمان •
٤٨ — اليمن •

ولكل من هذه الولايات بيت مال وديوان خراج وقاض أو أكثر ، وسكانها هم معظم أمم العالم المتمدن فى ذلك الحين . ولا تزال كثير من أمم آسيا وأفريقيا تكتب لغاتها بالحروف العربية الى الآن أثرا لذلك التمدن العظيم •

obeikandl.com

أقول : هذا وان كان ضغط الاحتلال الغربى قد أدى الى كتابة هذه اللغات القومية بحروف لاتينية لازالة آثار الوجه الاسـلامى للبلاد ، ولكن اليقظة الاسـلامية المعاصرة ، وكتابة المصاحف بالحروف العربية ومشروعية التعبد بتلاوة القرآن بالعربية جعل من المستحيل ازالة الخط العربى ازالة تامة فى هذه الشعوب الاسـلامية الأعجمية .

* * *

● **فى عصر الدويلات :**

قال آدم ميتز « Adam Mez » أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بال فى سويسرا : فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — عادت المملكة الاسـلامية الى ما كانت عليه قبل الفتح العربى ، وقامت فيها دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض « وقد تم هذا الانقسام حوالى سـنة ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م » .

فصارت فارس والرى وأصبهان والجبل فى أيدى بنى بويه — وكرمان فى يد محمد بن الياس .. والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر فى أيدى بنى حمدان — وأصبحت مصر والشـام فى يد محمد بن طغج .. والمغرب وافريقية فى يد الفاطميين . والأندلس فى يد عبد الرحمن الناصر — وخراسان فى يد نصر بن أحمد — والأهواز وواسط والبصرة فى يد البريدين ، واليمامة والبحرين فى يد أبى طاهر القرمطى — وطبرستان ، وجرجان فى يد الديلم . ولم يبق فى يد الخليفة الا بغـداد وأعمالها .

ويشـبه المسعودى (فى عام ٣٣٢ هـ = ٩٤٤ م) فعل أصـحاب الأطراف ، وتغلب كل واحد منهم على الصقع الذى هو فيه بفعل ملوك الطوائف بعد موت الاسـكندر[٢] .

---

(٢) مروج الذهب للمسعودى جـ ١ ص ٣٠٦ و جـ ٢ ص ٧٣ وما بعدها الطبعة الأوروبية .

على أن شبحاً بسيادة الخليفة ببغداد ظل وهما ماثلا فى الأذهان • وكان أصحاب الأطراف أو ملوك الطوائف يعترفون للخليفة بالسيادة ، ويقدمون له الدعاء فى المساجد ويرسلون اليه الهدايا فى كل عام •

وهو يشبه فى ذلك قيصراً من قياصرة الامبراطورية الرومانية المقدسة فى ألمانيا يحكم الأمة الألمانية وليس له عليها الا سلطان قليل ، ولكن معنى الخلافة لم يفقد — رغم هذا — ما كان له من القوة والسلطان ، حتى ان بنى أمية فى الأندلس لم يتخذوا لأنفسهم لقب الخليفة أو التسمية بأمير المؤمنين ، بل كانوا يسمون أنفسهم « بنى الخلائف » •

ثم جاء الفاطميون • فكانوا أول من خرج على هذه القاعدة • فلم يكتفوا بأن يكونوا أمراء ذوى سلطة دنيوية فقط ، بل أرادوا أن يكونوا الخلفاء الحقيقيين للنبى ﷺ فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بعد فتح القيروان فى سنة ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م ، ثم أسرعت قيمة هذا اللقب الى الهبوط حتى ان حاكم سجلماسة — جنوبى جبال أطلس •• وكان حاكما سنيا صغيرا • لقب نفسه بأمير المؤمنين فى سنة ٣٤٢ هـ = ٩٥٣ م — وهو اللقب الذى كان من قبل يبعث فى النفس رهبة عظيمة •

ولما علم عبد الرحمن بالأندلس أن العلويين بافريقيا تلقبوا بأمير المؤمنين اتخذ لنفسه أيضا لقب الخلافة ، وتسمى بأمير المؤمنين فى سنة ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م (٣) •

* * *

● هل أثر الانقسام على الاسلام أو شخصية المسلم ؟

قال الأستاذ آدم ميتز : ولم يكن من شأن هذا الانقسام وتعدد أمراء المؤمنين أن يؤدى الى ضيق فى معنى الاسلام ، أو فى الوطن الاسلامى • بل صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة سميت

---

(٣) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم ميتز ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ج ٢ ص ١ — ٣ •

مملكة الاســـلام — وهو الاصطلاح الذى لم يستعمله المسعودى — تمييزا لها عن مملكة الكفر • وقامت وحدة اســـلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة • وهـــذا عكس ما نشـــأ عن اتحاد الامبراطورية الألمـــانية فى القرن التاسع عشر — اذ كان غرضها الوحدة ولكنها لم تستطع أن تشمل النمسا وغيرها ممن أصلهم جرمانى — •

يعتبر المقدسى أن مملكة الاســـلام تمتد من كاشغر فى أقصى المشرق الى السوس الأقصى فى المغـــرب • وأنهـــا تقطع فى نحـــو عشرة أشـــهر[٤] •

أما عند ابن حوقل فحدود مملكة الاســـلام هى : شرقيها أرض الهند وبحر فارس ، وغربيها مملكة السودان الذين يسكنون على المحيط الأطلسى ، وشماليها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللان والران والخزر والبلغار والصقالبة والترك والصين ، وجنوبيها بحر فارس[٥] •

وكان المسلم يستطيع أن يسافر داخل حدود هـــذه المملكة فى ظل دينه • وتحت كنفه ، وفيها يجد الناس يعبدون الاله الواحد الذى يعبده ، ويصلون كمـــا يصلى ، وكذلك يجد شريعة واحـــدة وعرفا واحـــدا وعادات واحـــدة •

وكان يوجد فى هـــذه المملكة الاسلامية قانون عملى يضمن للمسلم حق المواطن • بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية أن يمسها أحد ، وبحيث لا يستطيع أن يسترقه أحد على أى صورة من الصور •

وقد طوف « ناصر خسرو » فى هذه البلاد كلها فى القرن الخامس الهجـــرى — الحادى عشر الميـــلادى — دون أن يلاقى من المضايقات ما كان يلاقيه الألمـــانى الذى كان يســـافر فى ألمـــانيا فى القـــرن الثامن عشر بعد المسيح عليه السلام •

---

(٤) المقدسى : أحسن التقاســـيم فى معـــرفة الأقاليم طبعة ليدن ١٨٧٧ ص ٦٤ .

(٥) ابن حوقل : المسالك والممالك طبعة ليدن ١٨٧٢ — ص ١٠ — ١١

وكان البحر الأبيض المتوسط بعد عصر شارلمان قد أصبح بحرا عربيا حتى سقطت قبرص فى يد البيزنطيين سنة ٣٥٥ هـ ، واستطاع العباسيون منذ أوائل القرن الرابع أن يحافظوا على حدودهم الغربية من اعتداء البيزنطيين • وكانت أخبار الانتصارات تقرأ من أعلى المنابر ببغداد •

وفى جنوب المملكة الاسلامية حافظ المسلمون على الحدود التى كانت للرومان قديما • وصدوا هجمات النوبة • ويحدثنا المسعودى وهو بمصر فى عام ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م أن النوبة كانوا قد صولحوا منذ ولاية عبد الله بن سعد على رؤوس من السبى معلومة • وأن هذا السبى صار سنة جارية فى كل سنة الى عهده ، ويدعى هذا السبى بأرض مصر والنوبة بالبقط ، ويقبضه نائب أمير مصر المقيم ببلاد أسوان • وفى عام ٣٤٥ هـ = ٩٥٦ م سار عسكر مصر وفتحوا مدينة أبريم • وهى آخر حصون النوبة مما يلى مصر[٦] •

وفى أقصى الجنوب الغربى دخلت فى الاسلام مدينة أودغشت : وهى المدينة التجارية الكبرى فى غرب الصحراء الافريقية • فصارت هذه المدينة أقصى نقطة للامبراطورية الاسلامية من ناحية وسط افريقيا •

على أنه اذا كان سلطان الاسلام ينحسر عن بلاد فى الغرب فقد كان يقابل ذلك تقدمه المستمر فى الشرق • ففى عام ٣١٣ هـ = ٩٢٥ م فتحت بلوخستان وكانت حتى ذلك الحين على الوثنية[٧] •

وفى سنة ٣٤٩ هـ = ٩٦٠ م أسلم من الأتراك نحو مائتى ألف خركاة[٨] •

وعلى حين أنه فى أواخر القرن الثالث الهجرى كانت أسبيجاب آخر

---

(٦) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣ ، ٤ ، ٦ .
(٧) تجارب الأمم لابن مسكوية ج ٦ ص ٢٤٩ .
(٨) ابن مسكويه ج ٦ ص ٢٤٩ وكتاب العيون والحدائق ص ٢٦٩ مخطوط برلين رقم ٩٤٩١ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

مدينة للمسلمين مما يلى الترك ، فان دخول بفراخان فى سلك أمراء المسلمين جعل حدود المملكة الاسلامية تمتد الى حوض نهر التايم • وفى عام ٣٩٧ هـ = ١٠٠٦ م كان أهل بلاد ختن مسلمين •

وفى ذلك الوقت شمر السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة • وأخضع بلادا واسعة من بلاد الهند لسلطان الاسلام • وكانت علامة الثقة عند ملوك الهند أنهم يقطعون أصابعهم • وكان عند السلطان محمود من أصابع من هادنه الكثير [٩] •

ثم قال [١٠] : ولا نريد أن نتعرض هنا للبحث فيما اذا كان انقسام دولة بنى العباس دليلا من دلائل التدهور ، اذا نظرنا فى هذه المسألة بمنظار هذا العصر الذى نعيش فيه • والذى يحكم فى مثل هذه الأحوال على أساس الكم ، وعلى أساس ما يسمونه بالوحدة •

على أننا نستطيع أن نقول : ان الامبراطوريات العالمية الكبرى ترتكز دائما ، اما على شخص زعيم عبقرى ، واما بنوع خاص على وجود طبقة من أهل الخشونة والقوة والوحشية ووجود هذه الامبراطوريات على كلتا الحالتين وجود غير طبيعى •

ولسنا نجد فى مصر على عهد الاخشيد وكافور والفاطميين ما يدل على تأخرها • بل هى قد كانت منيعة الجانب ، وافرة العدة عظيمة الخيرات • وكذلك يشهد الرحالون بمناقب السامانيين وعدلهم وشريف أعمالهم وما كان لمملكتهم من عظمة ومنعة[١١] •

أما بغداد فهى التى قد تنكرت لها الأيام ، وذلك منذ عام ٣١٥ هـ = ٩٢٧ م حين أرهجها العيارون [١٢] وعاثوا فيها فسادا وأعملوا

---

(٩) المنتظم فى تاريخ الأمم لابن الجوزى — مخطوط رقم ٩٤٣٦ بالمكتبة الأهلية ببرلين ص ١٨١ / أ — ب والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٩ — ٢١ •

(١٠) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ١ ص ١١ — ١٢ .

(١١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٣٤١ والصفحات التالية .

(١٢) المنتظم ص ٦٧ / ١ ، وكتاب العيون والحدائق ص ١٩١ / ب .

فيها النهب لأول مرة ، ثم صار أمرهم يتفاقم كلما ضعفت الحكومة • وكانت أسوأ أيامها السنوات ما بين عامى ٣٢٩ — ٣٣٤ هـ = ٩٤٠ — ٩٤٥ م • وكأنما كان سقوط رأس القبة الخضراء التى فى قصر المنصور بمدينة السلام عام ٣٢٩ هـ = ٩٤٠ م ارهاصا بأفول نجم بنى العباس • وكانت تلك القبة « تاج بغداد وعلم البلاد » وكان ليلة سقوطها مطر عظيم ورعد وبرق شديد[١٣] •

ثم قال : ولأجل هذا نجد المقدسى يشيد بذكر مدينة الفسطاط بمصر • ويقول انها « ناسخ بغداد ومفخر الاسلام ومتجر الآنام وأجل من مدينة السلام » ولقد ظلت عاصمة مصر منذ ذلك الحين « أكبر مدن الاسلام »[١٤] •

* * *

● **افتداء المسلم بكل عزيز :**

قال آدم ميتز : ان زحف الروم بدأ سنة ٣١٤ هـ = ٩٢٦ م[١٥] باستيلائهم على مدينة ملطية • وفى عام ٣٣١ هـ = ٩٤٢ م وافت جيوش الروم الى ديار بكر وبلغوا قرب نصيبين ، وطلبوا من أهل الرها أن يدفعوا اليهم المنديل الذى كان المسيح عليه السلام — فى زعمهم — قد مسح به وجهه وصارت صورة وجهه فيه • وذلك فى مقابل اطلاق عدد من أسرى المسلمين •

وكوتب الخليفة « المتقى » فى ذلك • فاستحضر الوجوه من أهل مملكته لأخذ رأيهم وقام جدال عظيم بينهم ، فذكر البعض أن هذا المنديل منذ الدهر الطويل فى كنيسة الرها • لم يلتمسه ملك من ملوك

---

(١٣) العيارون : قطاع الطرق من اللصوص ، وأرهجوا : أثاروا الفتنة والذعر .

(١٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ١٤ ..

(١٥) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٤ ..

الروم • وأن فى دفعه اليهم غضاضة على الاسلام • لأن المسلمين أحق بمنديل عيسى عليه السلام ، وفيه صورته ، فقال على بن عيسى — وهو الوزير المسن اذ ذاك — : ان خلاص المسلمين من الأسر ، واخراجهم من دار الـــكفر ، مع ما يقاسونه من الضنك والضر أوجب وأحق ، ووافقه جماعة ممن حضر على قوله ، وســـلم المنديل الى الروم • فحملوه الى القسطنطينية ، وخرج بطريرك وكبار رجال الدولة لاستقباله ، ومشى أهل الدولة بأجمعهم بين يديه بالشمع الكثير ، وحمل الى الكنيسة العظمى « أجيا صوفيا » ومنها الى البلاط (١٦) •

* * *

(١٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٤ ولا دليل على دعوى وجود صورة وجـــه المسيح بالمنديل •

الـــدواوين

● نشأة الديوان وتشعب المناصب :

لمـــا اتسع سلطان المسلمين وكثرت وارداتهم اضطروا الى ضبط ذلك وتقييده وتعيين ما يدخل وما يخرج منه • فرأى عمر أن يضبط الوارد فى الدفاتر ، فيدفع منه رواتب معينة فى العام الى كل على قدر استحقاقه ، والذى يبقى من الأموال يحفظ للانتفاع به عنـــد الحاجة فشرع فى ذلك فى الســـنة العشرين للهجـــرة ـــ وقيـــل فى الســـنة الخامسة عشرة ـــ وهو ما يعبر عنه بالديوان •

ولمـــا تكاثرت موارد بيت المـــال أنشأ عمر خزانة أو دار أسماها « بيت المـــال » فانقضت دولة الخلفاء الراشـــدين ـــ سنة ٤٠ هـ ـــ وأصـــحاب المناصب فيها :

١ ـــ الخليفـــة •
٢ ـــ عماله فى الأمصار •
٣ ـــ كاتب يكتب له الكتب ويتولى أمر الديوان •
٤ ـــ خادم خاص كانوا يسمونه الحاجب •
٥ ـــ خازن يتولى بيت المـــال •
٦ ـــ قاض يقضى فى الخصومات •

● وفى عهـــد بنى أميـــة :

استحدث الحرس وديوان الخاتم والبريد وديوان الخراج •

● فى العصر العباسى :

ولمـــا آل الأمر الى بنى العباس استنابوا من يقوم مقامهم فى مباشرة الأعمال ، فاستحدثوا منصبى الوزارة والحسبة وغيرهما ، ثم

أحدثت كل دولة من دول الاســـلام مناصب اقتضتها أحوالها ، فاختلفت فى بغداد عما فى قرطبة وفيهما عما فى القاهرة مما لا محل لتفصيله •

وكان الكاتب فى عهد الخلفاء الراشدين هو الذى يتولى الديوان على ما وضعه عمر ، فيدون ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما ، وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم ، ويتولى مكاتبة العمال •

فلما اتسعت أعمال الدولة تشعب ذلك الديوان الى :

١ ــ ما يختص بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج •

٢ ــ والى ما يختص بالنفقة على الجنـــد وغيرهم وهو ديوان الزمام والنفقة •

٣ ــ والى ما يتعلق بغير ذلك مثل ديوان الاقطاع وديوان المعادن •

٤ ــ والى ما يختص بتدوين أسماء الجنـــد وطبقاتهم ورواتبهم وهو ديوان الجند •

وتفرع من ديوان الجند ديوان الأساطيل وديوان الثغور وغيرهما •

٥ ــ وأفرد لمراسلات العمال وغيرهم ديوانا خاصا هو ديوان الرسائل أو الانشاء •

وكان بيت المـــال مخزنا عاما لكل أموال المسلمين ، فتفرع فى أيام الأمويين والعباسيين الى عـــدة فروع : بعضها لأموال الصدقات ، وبعضها لأموال المظالم ، وبعضها لأموال الورثة، وبعضها لغير ذلك •

وعلى هـــذا النمط تشعبت المناصب الأخرى : فتفرع من القضاء ديوان المظالم ، والحسبة ، والشرطة ، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره •

* * *

هل اقامة الدولة الاسلامية واجب ؟

أجاب أحد المستشرقين [1] عن هذا قائلا :

ان الصلة المحكمة التى تربط الدين بالسياسة ، والتى هى من خصائص التاريخ الاسلامى ومميزاته ، لا تحظى بالقبول عند المستغربين الذين نشأوا على أساس الاعتقاد بأن لكل من مسائل الدين ، والحياة العلمية عالمها الخاص المستقل بها ، ولكن أى انسان لديه قسط من العلم — حتى ولو كان سطحيا يسيرا — عن تعاليم الاسلام ، يعرف أن هذه التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الانسان وخالقه ، ولكنها تتعدى ذلك الى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعى ، يجب على المسلم اتباعه كأثر من آثار تلك العلاقة وكنتيجة لها ، فاذا بدأنا بالتسليم بأن كل مظاهر الحياة الطبيعية انما انبثقت عن ارادة الهية ، وأنها لذلك تختص بقيم ايجابية خاصة بها ، فان القرآن يجمل فى وضوح على أن الغاية النهائية للخلق هى تجاوب المخلوقات مع ارادة الخالق وخضوعها لها ، وبالنسبة للانسان : فان هذا الخضوع الذى يسمى « اسلاما » يتطلب — بداهة — تكييف رغبات الانسان وسلوكه ، تكييفا ايجابيا واعيا مع قوانين الحياة التى وضعها الخالق ، ومثل هذا المطلب يفترض بطبيعة الحال أن يكون لمفاهيم الخير والشر مقاييس ومعان ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والأزمنة ، ولكنها تحتفظ بصحتها وأصالتها فى كل الظروف والأوقات .

ومن الواضح أن كل ما وصلنا اليه من تحديد لمعانى الخير والشر ، أو العدل والظلم من خلال تأملاتنا لا يمكن له أن يتمتع بصفة الصحة المطلقة ، ذلك بأن التفكير البشرى تفكير وضعى من حيث المبدأ ، فهو عرضة دائما للتأثر بزمن المفكر ومحيطه ، وعلى هذا .. فانه اذا صح أن غاية

---

(١) وقد أسلم وتسمى « محمد أسد » وهذا من كتابه : منهاج الاسلام فى الحكم ، ترجمة منصور محمد ماضى ، ط ٥ ، ص ١٧ — ٢٠ .

الدين هى تكييف مطالب الانسان ورغبته وفق ارادة الله ، فلا بد للانسان أن يتعلم بأساليب معصومة من الخطأ ، كيف يميز بين الخير والشر ، وبين ما يجب فعله وما لا يجب •

ان التعاليم المجردة التى نصت عليها علوم الأخلاق : كقولهم : « أحبب الناس » أو « كن صادقا » أو « ثق بالله » لا تكفى ، لأنها عرضة لكثير من التفاسير المتناقضة •

ان المطلوب هو مجموعة من القوانين المحكمة المضبوطة التى تنسق — مهما اتسعت دائرة هذا التنسيق — مجال الحياة البشرية — بأكملها ، وتتعرض لكل مظاهرها الروحية والمادية ، والفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان الاسلام ليحقق هذه الغاية عن طريق قانون الهى هو الشريعة ، وهى تشمل بين دفتيها الأحكام التى جاء بها القرآن الكريم بعد أن أضيفت اليها — أو بالأحرى فسرتها ووضحتها بالأمثلة العملية — أحاديث الرسول ﷺ والتى تسمى « السنة » • وهى أسلوب حياته ﷺ ، ويرى المؤمن أن القرآن والسنة يكشفان لنا جانبا من سنة الله الشاملة الكلية فى خلق الكون ، وبالنسبة للانسان ، فانهما يحويان التحديد الواضح لما يريد الله منا أن نفعل ، وكيف يريدنا أن نكون •

فمن الواضح اذن أن أهليتنا للحياة وفق تعاليم الاسلام تترتب على استسلامنا لشريعته ، بيد أنه على الرغم من أننا قد نختار طريق الطاعة لأمر الله ، وقد لا يتاح لنا دائما تحقيق ذلك على الوجه المطلوب ، لأنه وان كانت الغاية الأساسية للدين الاسلامى هى اصلاح الناحية الفردية فى الانسان فان مما لا ريب فيه أن جزءا كبيرا من مبادىء الاسلام لا يمكن تطبيقه الا عن طريق مجهود موحد لعدد من الأفراد ، وهو ما نسميه بـ « المجهود الجماعى » •

وهكذا فان الفرد — مهما صحت عنده العزيمة — فانه لن يتمكن بحال من الأحوال — من أن يصوغ حياته على نحو يتفق مع تعاليم الاسلام ، دون أن يصوغ المجتمع الذى يعيش فيه شئون حياته أيضا فى الاطار الذى رسمه الاسلام •

ومثل هذا التعاون الواعى بين أفراد المجتمع لن ينبثق عن مجرد الشعور بالأخوة بينهم ، لأن فكرة الأخوة لا بد لها من أن تترجم الى حركة اجتماعية ايجابية هى « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » فاذا شئنا أن نضعها فى صيغة أخرى قلنا انها « خلق وصيانة مثل هذا النظام الاجتماعى بصورة تسمح لأكبر عدد من الأشخاص أن يعيشوا فى توافق وانسجام وحرية وكرامة » • ومما لا ريب فيه أن عصيان فرد — فى مسلكه — قواعد السلوك الاجتماعى العام يجعل وظيفة الآخرين فى محاولة تحقيق المثل الأعلى صعبة ، وتزداد وظيفتهم صعوبة كلما ازداد عدد هؤلاء العاصين •

وبمعنى أوضح : ان استعداد المجتمع للتعاون وفق مبادىء الاسلام لتحقيق غاياته سوف يظل استعدادا نظريا ما لم تكن هناك سلطة زمنية مسئولة عن تطبيق الشريعة الاسلامية ، ومنع الخروج عليها — على الأقل فى الأمور ذات الطابع الاجتماعى — من جانب أى فرد من أفراد المجتمع ، ومثل هذه المهمة لا بد لها من أن توسد الى مرجع له من السلطة ما يتيح له الأمر والنهى فى المسائل الاجتماعية ، وذلك المرجع هو الدولة •

من ذلك يتضح أن اقامة دولة — أو دول اسلامية — شرط لا غنى عنه للحياة الاسلامية فى صورتها التامة •

* * *

● **هل يمكن الاتفاق مع العلمانية والمصلحة والقانون الأخلاقى ؟**

تناول المستشرق «ليوبولد» هذا الموضوع وطرح هذا السؤال فأجاب عنه قائلا : ان الغربيين بدلا من أن يخضعوا سلوكهم وأفعالهم لمعايير القانون الأخلاقى فانهم اعتبروا « المصلحة » هى القانون الوحيد المهيمن الذى يجب أن تعالج على ضوئه كافة الشئون العامة ، وحيث ان المصلحة تختلف من جماعة لأخرى فان النتيجة الطبيعية لذلك هى ما نراه اليوم من اصطدام مروع بين المصالح المختلفة فى الحقل السياسى ، سواء أكان ذلك فى حدود الأمة الواحدة ، أو فى الميدان العالمى ، وهذا أمر

طبيعى ، فان ما يبدو — من الناحية العلمية البحتة مفيدا لطائفة من الناس ، أو أمة من الأمم لا يكون — غالبا — مفيدا لأمة أخرى ، وعلى هذا فانه ما لم يخضع البشر تصرفاتهم فى هذه الحياة لتوجيه غاية من الغايات الأدبية ، أو لاعتبار خلقى معين ، فان مصالحهم الخاصة لابد أن تتصادم فى نقطة أو أخرى ، وكلما احتدم النضال بينهم تباعدت مصالحهم أكثر فأكثر ، واختلط عليهم الأمر فى معرفة الخير والشر فى معاملة بعضهم بعضا •

ومما سبق يتضح لنا أنه لا يوجد فى الدولة العلمانية الحديثة مفهوم ثابت يمكن به التمييز بين الخير والشر ، والعدل والظلم• ان المقياس الوحيد فى مثل هذه الدولة هو « مصلحة الأمة » وفى حالة عدم وجود ميزان ثابت للقيم الخلقية فان الأفراد — حتى فى حدود الأمة الواحدة — ستصبح لديهم وجهات نظر متباينة ، حول ما يخدم مصالح الأمة على أحسن وجه ، اذ أن كلا من الاشتراكيين والرأسماليين يضع قوانينه الأخلاقية — وهى القوانين التى تحدد ما يجب فعله وما لا يجب — على أساس من نظرياته الاقتصادية فحسب ، وتكون النتيجة ما نراه اليوم من اضطرابات وبلبلة تهدد العلاقات بين الدول والشعوب بالخطر وليس فى وسع نظام من الأنظمة السياسية الغربية المعاصرة أن يحيل هذه الفوضى السائدة فى العالم الى شىء يشبه النظام ، ولذلك سبب واحد، هو أن أياً منها لم يحاول محاولة جدية دراسة المشكلات السياسية والاقتصادية فى ضوء مبادىء خلقية مطلقة — فطرة الله ودينه الذى لا ينحاز لأحد — فلقد شادت هذه النظم أجهزتها السياسية والاقتصادية على أهواء الناس ومطالبهم المادية وحدها ، وهى مطالب فى تغير دائم لا يفتر •

فان سلمنا بأن هذه هى الحال الطبعية التى لابد منها لشئون البشر والحياة ، كان علينا أن نسلم — تبعا لذلك — بأن مصطلحات «الخير والشر » أو «العدل والظلم» لا تحمل حقيقة ملزمة فى ذاتها ، وأنها لا تعدو أن تكون خيالات رائجة تتخذ صورا متعددة تتلاءم مع مقتضيات

الظروف الاجتماعية والسياسية ، ومعنى هذا أنه لا توجد أية التزامات أخلاقية تضبط العلاقات البشرية ، لأن مجرد تصور وجود هذه الالتزامات يصبح عبثا لا طائل تحته اذا لم يكن لها صفة مطلقة •

ونحن عندما يستقر فى وجداننا أن مفاهيمنا عن العدل والظلم والخير والشر هى من صنع البشر ، وأنها مفاهيم تتغير بتغير العرف الاجتماعى والبيئة ، فلا يمكن لها أن ترشدنا كأدلة موثوق بها فى طرائق الحياة •• فاننا نطرح جانبا كل الاعتبارات الأخلاقية ، ونستهدف مصالحنا الخاصة فحسب • هذه المصالح التى تخلق الاضطراب فى العلاقات بين الأفراد والأمم ، وتهدم باطراد هذا القسط النسبى من السعادة التى منحها الانسان •• وهذا — فيما نظن — يضع التفسير النهائى للبلبلة والقلق اللذين يسودان العالم اليوم •

يستحيل على أية أمة أن تعرف طعم السعادة ما لم تكن متحدة من الداخل ، ويستحيل أن تتحد من داخلها ما لم تصل الى نوع من الاتفاق على تحديد واضح لما هو عدل وظلم فى شئون الناس والحياة ، ويستحيل الوصول الى مثل هذا الاتفاق — بالتالى — ما لم تتعارف هذه الأمة على التزامات خلقية منبثقة من قانون أخلاقى دائم مطلق ، ومن الواضح أن الدين — والدين وحده — هو القادر على أن يقدم لنا هذا القانون المطلوب ، وبهذا القانون يمكن أن يوجد أساس الاتفاق داخل الأمة أو المجتمع على الالتزامات الخلقية التى يخضع لها كافة الأفراد مختارين •

وزبدة الأديان تقوم على الشعور بأن وراء الكون ارادة الهية ، وأنه لا بد من توافق روحى مع هذه الارادة الالهية ، وباستشعار هذه الارادة ووجوب التوافق معها قامت الملكة التى بها يميز الانسان بين الخير والشر • فاذا فقد ذلك أصبحت عبارتا العدل والظلم ذواتى معان نسبية تترجم وفق مقتضيات « المصلحة » الخاصة بالفرد أو الجماعة • وهى مصلحة عرضة للتغيير المستمر بتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية • واذا كنا نعجز عن الاجابة عن ما هى الحياة وكيف بدأت على سطح الأرض وما هى طبيعة الوجود البشرى وما الغرض من هذا

الوجود فانه لا يكون ممكنا لنا تحديد بعض القيم الخلقية كالخير والشر والعدل والظلم ، ذلك بأن مثل هذه العبارات ليس لها معـــان على الاطلاق ما لم ترتبط بمعرفة حقيقية أو خيالية • عن طبيعـــة الوجـــود البشرى والغاية النهائية من هذا الوجود • وقد انتهى أساطين العلم الغربيون الى هذه الحقيقة ، وطرحوا جانبا الأمل فى حل معضلات عالم الغيب بالبحوث الطبيعية وقالوا ان علم الطبيعة لن يستطيع أن يقدم ارشادا فى حقـــل الأخلاق ، لأنه لا صلة له مباشرة بحياة الانسان الخلقية والروحية ، بـــل ان مهمته مقصورة على مظاهر الطبيعة واكتشاف قوانينها فحسب ، فلا يمكن أن يطلب اليها أن تصدر حكما فاصلا فى مسألة الغاية من الحيـــاة البشرية ، أو أن تضع لنا — بالتالى — توجيهات مفيدة فى نـــوع السلوك الاجتماعى الذى يجب أن نسلكه •

ان هـــذا هو السبب فى أن العلـــم لا يســـتطيع — بـــل انه لم يحـــاول — أن يربى فى الانســـان الوعى الأخـــلاقى ، ولهـــذا يمكننا القول : ان مسائل الأخلاق لا تقع مطلقا فى دائرة العلم ، ولكنهـــا تقع بالتأكيد فى نطاق الدين ، والدين وحده • ان الدين وحده هو الذى يقدم لنا مجالا واسعا للاتفاق بين مجموعات كبيرة من البشر على ما هـــو خير مرغوب فيه ، أو شر ينبغى اجتنابه ، وهل هناك أثارة من ريب أن مثل هذا الاتفاق أمر ضرورى لا غنى عنه للحصول على نوع من النظـــام فى العلاقات البشرية ؟

* * *

● **الاســـلام لا العلمانية طريق السعادة :**

ثم يقول « ليوبولد فايس » : ان الدولة التى تقوم على أساس الدين تقدم فرصا للسعادة والرفاهية أعظم بكثير من الفرص التى تمنحها دولة يقوم كيانها السياسى على العلمانية ، شريطة أن تمنح العقيـــدة الدينيـــة التى يقوم عليها جهاز الدولة ، والتى منها تستمد سلطانها وقوتها أمرين :

أولا : تمنح المجال للانسان كى يحصل على حاجاته الحياتيـــة والاجتماعية ، وهذا لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت العقيدة الدينية تعطى

أهمية ايجابية خاصة لا لحاجات الانسان الروحية فحسب ولكن لحاجاته المادية كذلك ، وهذا هو ما يحققه الاسلام •

ثانيا : أن يؤخذ فى الاعتبار التطور التاريخى والفكرى المستمر الذى يكتنف الحياة وتخضع لقانونه كل المجتمعات البشرية من غير استثناء • وهذا يتحقق بأمرين :

الأول : أن تكون الأحكام السياسية التى تقدمها العقيدة الدينية واضحة ثابتة الدعائم •

الثانى : ألا تعانى من آفة الجمود التى تلحق الفقهاء ولا تلحق النصوص الشرعية •

* * *

● **وفاء الشريعة :**

وقد تحدث أحد كبار العلماء التشريعيين فى الغرب قائلا : « كلما نقصكم من أمور تشريعية ، ولم تجدوها فى قوانين وأنظمة الأمم السابقة ، أو احتجتم الى تحليل أكثر فارجعوا الى تعاليم الاسلام وفقهه ، واستمدوا منه حاجتكم ، وخذوا ما ينقصكم ، فان العرب — يعنى المسلمين — لهم حضارة متكاملة ، ومصدر تشريعى واف ، لم يحفل التاريخ بمثلهما »(٢) •

قال ليوبولد فايس : لقد أجمع علماء اللغة العربية على أن « نص القرآن ونص السنة هو ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ، وهذه التعاليم التى تسمى « النصوص » لا تحتمل طبيعتها تفاسير متناقضة ، بل انها فى الحقيقة لا تحتاج الى تفسير على الاطلاق ، لأن ألفاظها لا يعتورها غموض أو ابهام •

وان الشريعة تحصر اهتمامها فيما أمر به الشارع فى عبارات جلية على أنه فريضة ، وما نهى عنه على أنه حرام ، بينما اعتبرت كل ما يقع

---

(٢) الفيصل : العدد ٣٣ — ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ — ص ٨٤ .

خارج نطاق الدائرة من الأشياء ومظاهر النشاط المتعددة والتى تركها الشارع دون تحديد — أى من غير فرض أو تحريم بنصوص واضحة — اعتبرتها الشريعة مباحة ، كما قال بذلك ابن حزم الأندلسى •

ونحن عندما نفحص نصوص الشريعة نجد أنه عندما يكون الحكم المنصوص فيها تفصيليا ومسهبا فاننا سنجد أنه يتعرض لأمر يتعلق بوجودنا الفردى أو الاجتماعى المستقل كل الاستقلال عن التأثر بالتغيير الزمنى ، كالعناصر الجذرية للطبيعة البشرية ، أو العلاقات الأساسية بين الناس على سبيل المثال • ولكن فى الأمور التى لا بد وأن يشملها التغيير الزمنى كالشئون المتعلقة بشكل الحكومة [ملكية — جمهورية رئاسية] الى آخره ، أو كالفنون الصناعية ، أو القوانين الاقتصادية ، أو ما أشبه ذلك ، فان الشريعة — كى لا تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم الانسانى ، لا تنص على أحكام تفريعية باسهاب ، ولكنها تكتفى بارساء قواعد عامة فحسب ، أو تصمت ازاءها كل الصمت ، فلا تسن أى تشريع ، وهذا هو الموضع الذى يجوز — وينبغى لنا — أن نجتهد فيه •

وان هذا الأسلوب هو الذى أشارت اليه الآية الكريمة : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** »(٣) •• فبينما رسمت الشريعة حدود الدائرة التى تتطور فى رحابها حياة الأمة الاسلامية •• جاء الشارع فشق منهاجا — طريقا مفتوحا — فى داخل الدائرة ، يتيح لنا حرية سن القوانين الملائمة للزمن ، كى نعالج به طوارىء الحياة التى سكتت عنها نصوص القرآن والسنة عامدة كما بينا ، لا نتخطى النص •

* * *

● **تعقيب :**

هكذا أخذ الكاتب بوجهة نظر ابن حزم الأندلسى فى أن الأصل للتشريع هو الكتاب والسنة ، ثم ان ما ليس عليه نص فيهما ، فهو على أصل الاباحة للفعل الذى لم يرد نص بتحريمه ، والحل لما لم يرد نص

---

(٣) المائدة : ٤٨ .

بتحريمه من الأشـــياء • غير أن الكاتب أحسن حالا فى أنه لا يلغى الاجتهاد ، ولا يجرى قاعدة استصحاب الأصل مطلقا •

والذى أريد أن أوضحه هنا هو أن القياس الذى يقول به الأصوليون ـــ عدا ابن حزم ـــ هو فى حقيقته أخذ بالنص ، لأنه ادماج فروع ومسائل اشتركت مع ما فيه نص فى علة التحريم المذكورة فى النص صراحة أو ضمنا ، فليس فى القياس تخط للنص ، وابن حزم نفســـه يأخذ بالعلة المنصوص عليها ، وهو واهم فى رفضه الأخذ بالعلة التى لم يذكر النص عليهـــا ، لأننا مأمورون بأن نفهم النصوص باللغـــة العربية التى بها نزلت النصوص ، وهى لغـــة فيها هـــذا النمط من الأحكام التى يتضمنها النص وان لم تذكر صراحة ، لوضوح العلة ، أو ما يسمى بقياس الأولى ، كما فى قوله تعالى : **« فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما »**(٤) ، فما يسمى « قياس الأولى » هو ما أسميه النص الضمنى ، فلا يجـــوز اطراحه وتركه •

وهكذا القول فى « الاستحسان » ، فانه يعنى نخل الآراء حتى نجد لها من المفهوم الضمنى للنص ما تدخل به المسألة فى اطار النص ، فليس الأمر « الاستحسان » الخاضع للهوى ، هوى فرد أو طائفة أو أمة •

وليس « عمل أهل المدينة » الذى يعده المالكية مصدرا من مصادر التشريع ـــ حجة ، لأن أهل المدينة مصدر للتشريع ، وانما باعتبار أن عملهم فى عصر التابعين انما هو عمل تناقله الصحابة ثم التابعون عن النبى ﷺ ، فهو فى معنى « الحديث المتواتر عمليا » ، بدليل أن مالكا عندما صح عنده حديث خالف عمل أهل المدينة ، عمل بالحديث ، ودعا اليـــه أهل المدينـــة •

ولا يقال : هل يقع خطأ فى المتواتر ؟ لأن الخطأ هو خطأ فى عمل العرف الاجتماعى ، وليس فى المتواتر من السنة ، بدليل وجود حديث يرد العرف عن الخطأ ، فما هو من عمل أهل المدينة له من غيره نصوص مسندة ،

---

(٤) الاسراء : ٢٣ .

وهكذا نقول فى الاجماع — بكافة تفسيرات المصطلح الفقهى ، فانه يعتمد على الكتاب والسنة ، وما تضمنته نصوصهما مما سميناه القياس أو الاستحسان ، أو عمل أهل المدينة ، أو المصالح المرسلة المستفادة من عموم مقاصد الشريعة .

* * *

● **وجهة العمل الاسلامى :**

ثم قال « ليوبولد فايس » : ان الحركة فى البيئة الاجتماعية اما أن تكون بناءة مبدعة أو هدامة مدمرة ، فاذا حاولنا الرجوع الى حقائق القرآن والسنة النبوية ، وعملنا — فى ضوئهما — على صياغة مجار جديدة لتفكيرنا السياسى والاجتماعى ، كانت هذه حركة بناءة مبدعة ، أما الذى نراه فى المجتمع الاسلامى اليوم من انجراف نحو الأفكار الغربية ، والنظم السياسية السائدة فى الغرب ، فهو حركة هدامة مدمرة .

ونحن نستطيع — اذا أردنا — أن نواصل السير فى طريق الغرب ، وبهذا نساعد على طمس معالم الاسلام والتعفية على آثاره كعامل حضارى مستقل ، كما نستطيع من ناحية أخرى — أن نبدأ بداية جديدة على أساس المنهاج الاسلامى فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وبذلك نبعث ثقافتنا ، ونصون التراث الاسلامى من ديدان العفن التى بدأت تدب فى أوصاله .

ان كل ما يطلب من الدولة — لكى تنال بحق صفة الدولة الاسلامية — هو أن تدمج فى دستورها ، وأن تستهدى فى أعمالها — تلك الأحكام الظاهرة المنصوصة فى القرآن والسنة ، والتى لها علاقة مباشرة بحياة المجتمع السياسية ، وان هذه الأحكام قليلة ، محكمة الصياغة ، لا يلابسها غموض ، وكلها ، بلا استثناء — ذات طبيعة مرنة تسمح لها بالحياة والعمل فى كل الأزمنة ، وفى كل الظروف الاجتماعية (٥) .

* * *

(٥) ليوبولد فايس : منهاج الاسلام فى الحكم : ص ٣٥ — ٤٢ .